العدد (2041) السنة الثامنة - السبت (12) شباط 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

على هامش الصراحة

عندما اختارت الحكومة أمين بغداد

إحسان شمران الياسري

يبدو إن الحكومة اختارت عن عمد معظم مسؤولي أمانة بغداد الكبار من المناطق الفقيرة والتي عانت الإهمال ونقص الخدمات. فالسيد أمين بغداد من منطقة الشعلة، وأحد وكلائه من مدينة الصدر، ويتوزع بقية كبار المسؤولين على مناطق بغداد المختلفة، بما فيها المناطق الشعبية والمحرومة.

وكان مؤملاً أن تسير الأمور على طريقة الهرم المقلوب، فيبدأ التركيز على الإعمار وتلبية الخدمات من تلك المناطق التي لا تنتمي إلى بغداد إلا لكونها ضمن رقعتها الجغرافية، أما بقية التفاصيل فلا تنتمي إلى مسميات المدن، وأهلها يعرفون ذلك ولن أضيف لمعلوماتهم شيئا.

وحتى هذه المقدمة للموضوع لا ضرورة لها، إذ لو كان الأمين من مناطق راقية، فإن الأداء والحماس يُفترض أن لا يتغيرا باعتبار إنه مواطن يحترم مدينته، وانه موظف يؤدي واجبه مهما كان مشربه ومأتاه.

ومع ذلك، فقد كان الذي كان، وتحيّزت الحكومة للمناطق المحرومة وجاءت بأولادها ليحكموا في أمانة بغداد ويقلبوا هرم الأولويات فيركزوا على المناطق المحرومة والشعبية.. ولتذهب المناطق الراقية الى الجحيم.

كما أكملت الجماهير الهدف فانتخبت أعضاء الحكومة المحلية من هذه المناخات، إلاّ إن مؤسسات الأمانة كانت أكثر عدالة من الحكومة، فلم تنحز إلى المناطق المتخلفة فتُعمرّها، لتلحق بالمناطق المتطورة أو الراقية، بل خربت المناطق الراقية لتلحق بالمناطق المتخلفة.. فكسّرت التبليط وأهملت شبكات الصرف وشوّهت (الجزرات) الوسطية.

ولا أدري كيف تتصور المستويات العليا في أمانة بغداد إن التقارير التي تتلقاها من المستويات الأدنى أو التشكيلات التنفيذية في الأمانة تُغني عن المشاهدة الميدانية.. ولا أدري أيضاً بآلية المساءلة والمحاسبة التي تتبعها أمانة بغداد، وتتبعها الهيئات الرقابية في الدولة لمتابعة (منجزات) أمانة بغداد.

فالحق إن هناك عملاً يومياً كبيراً تقوم به تشكيلات الأمانة، ونشاهد آلياتها وسياراتها وألوف العمال وهم يجوبون شوارع بغداد يومياً، بل إن بعض مقاولي التنظيف يعملون خلال الليل لرفع النفايات. كما قدمت الأمانة قوافل من الشهداء الذين قضوا وهم يؤدون واجباتهم.

إلا إن السؤال المشروع، هل هناك منجزات تسجل للفترة الواقعة بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠١٠..؟ لا شك في إن هناك أعمالاً تنفذ في بغداد، وأغلب الظن إنها تنفذ من خلال المقاولين، وأهمها (المجسرات) التي أنجز بعضها، وما زال البعض في الانتظار. ولكن انظروا للمدينة.. انظروا للشوارع، ولآثار الأمطار عليها..

أنا أتحدى أن يزور السيد الأمين مدينة الصدر ويسير من ساحة (٨٣) إلى علوة جميلة في ركام الأوحال والازبال والتكسّرات في الشارع.. أو يدخل إلى مدينة الكمالية.. وهذه أمثلة على جانب الرصافة شاهدتها أنا، وليسأل السيد الأمين لماذا يعاني مستخدمو جانبي القناة من أعمال تصليح الفواصل في الأنفاق منذ شهرين، بينما كانت الشركة الكورية تستبدل الفواصل بثلاث ساعات، فتبدأ من الساعة الثانية فجراً وتنتهي في الرابعة أو الخامسة فجراً، وكان هذا في ثمانينيات القرن الماضي، ولم يكن العالم قد اخترع الانترنيت أو (الفيس بوك) أو (ثورات الزيتون) وثورات (الصعايدة) التي ستصيب العالم بأسره بالعدوى (إلا العراق وأهل بغداد).

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أزمة ثقة بين الحاكم والمحكوم

حسين علي الحمداني

ما يحدث الآن في العالم العربي يمكن تلخيصه بأنه أزمة ثقة بين الحاكم والمحكوم، وأزمة الثقة هذه وصلت حداً كبيراً بين وعود منذ عقود بالإصلاح وتمسك بالسلطة وصل حد التوريث، وغضب يجتاح العالم العربي بعضه بصوت عال والبعض الآخر مازال همسا وقد يرتفع الصوت في الأسابيع المقبلة فلا صوت يعلو فوق صوت الشعوب .

يشهد العالم العربي منذ بداية هذا العالم موجة غليان كبيرة، وكأن بركان الحرية قد فتح بعد أن ظل خامدا قرونا طويلة، والبعض يتساءل ما هي نتائج موجات الاحتجاجات الشعبية التي طالت دولا عدة؟ هل ستقود لإصلاحات جذرية أم إنها ستغير الأسماء فقط؟ وعلى ماذا يراهن الشعب العربي؟ هل يراهن على الغرب المتحضر وتفهمه لقضاياه؟ أم تراه يراهن على النخب السياسية المعارضة لأن تأخذ دورها؟

أسئلة كثيرة طرحت نفسها بقوة دون أن تجد أجوبة لها، في تونس لم يحصل ثمة تغيير جذري وربما الجيش لعب دوره بشكل جيد في تنحية بن علي، ولا يمكن لنا أن نقول بأن هنالك تغييراً في هذا البلد ما لم تكن هنالك انتخابات ستكشف حجم هذا التغيير ونوعه وآلياته، حتى اليوم هنالك أكثر من ١٤ حزباً سياسياً في تونس قابلة للزيادة في الأشهر المقبلة، هؤلاء بالتأكيد سيدخلون بقوة في أية انتخابات قادمة في تونس وكل منهم يحلم بحكم هذا البلد بطريقته الخاصة دون أن نتجاهل حقيقة مهمة وهي إن ثمة بقايا لحزب بن علي مازالوا يسيطرون من مواقعهم على الكثير من أمور هذا البلد بما في ذلك أجهزة الإعلام والمؤسسات الاقتصادية.

في مصر لم يحدث التغيير المتوقع وأخذت الانتفاضة المصرية طريق (اللا حرب واللا سلم) مع النظام بعد أن شهدت تصاعدا كبيرا ما بعد ٢٥ يناير/كانون الثاني كان يمكن أن تشكل نقطة تحول كبيرة، وما تمخض حتى الآن الإسراع بالإصلاحات الدستورية وترتيب البيت المصري لمرحلة انتقالية ربما لا تسفر عن شيء مما يسعى إليه الشباب غير المؤدلج والبعيد عن الأحزاب المصرية التي بدأ بعضها يحصد ما زرعه شباب ٢٥ يناير/كانون الثاني، وفي مقدمة هذه الأحزاب (الأخوان المسلمين) الذين انتزعوا اعترافاً رسمياً بأنهم حزب يجب محاورته بعد أن ظل محظورا سنوات طويلة.

وبركان الحرية العربي، تحول إلى بركان إصلاحات في دول عدة من أجل تفادي موجات غضب عارمة قد تنطلق في هذا البلد العربي أو ذاك، اليمن سارعت وأعلنت لا تجديد ولا توريث ولا تصفير، والبعض ربما لا يعرف ما معنى التصفير، فقط أولئك الذين يبيعون ويشترون السيارات يعمدون لتصفير عداداتها لتبدو جديدة غير مستهلكة، الرئيس اليمني قال لا تصفير وهو يعني بأن ما تبقى من ولايته هي السنوات الأخيرة التي سيقضيها في حكم اليمن الموحد، في سوريا إصلاحات اقتصادية، وكذلك الأردن وحتى العراق أصابه من بركات تونس ومصر الكثير، تعويضات البطاقة التموينية المهددة بالانقراض والتلاشي، رغم إن البعض وجد في مبلغ الـ١٥ ألف دينار مبلغا زهيداً، لكن البعض الآخر وجده جزءاً من الحل وليس الحل برمته،وما يمكن أن يحدث في العالم العربي الآن هي موجة إصلاحات طوعية، فالدرس المصري كبير جدا، تأخر الإصلاحات جعل الشارع المصري يلتهب وبالتالي فالأنظمة الحاكمة في المنطقة العربية سارعت إعلاميا وربما تشريعيا بجملة من الإصلاحات التي قد تمنع حدوث انتفاضات كالتي حدثت في مصر وتونس، ولكن السؤال المهم هل ستكون هنالك فعلا إصلاحات أم امتصاص نقمة؟ وهل الشارع العربي يثق بحكامه على إنهم يحولون أقوالهم إلى أفعال في الأيام القادمة أم إنها مجرد انحناءة أمام عاصفة قوية؟ ما يمكن أن نستنتجه بأن الشعوب العربية باتت لا تثق بحكامها، والبعض منها لا يكتفي بتنحيهم وتركهم يخرجون بأمان من البلد، لأن هذا يعني بأن عشرات المليارات من الدولارات ستخرج معهم وبالتالي على الشعب أن يبدأ من الصفر.

لهذا نجد بأن الشباب العربي اختار أيام الغضب طريقا يسلكه في ظل غياب أحزاب المعارضة في الكثير من الدول العربية وبات الفيسبوك والتكنولوجيا الحديثة هي السلاح الذي لا يمكن مقاومته.

ما بعد ماركس.. ما بعد الماركسية:

سعد محمد رحيم

١. مدخل

ليس من المنطقي والإنصاف الاكتفاء بحشر كارل ماركس ونظريته ما بين دفتي الكتب الخاصة بتاريخ الفكر الإنساني، والتعامل معه على وفق الطريقة ذاتها التي نتعامل بها مع نصوص أساطين الفكر والفلسفة، أولئك الذين اكتفوا بتفسير العالم، منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو وحتى يومنا الحاضر، إن ما تركه ماركس هو فكر دائم التحرش بالواقع التاريخي. فهو أداة نقد، لاسيما للنظام الرأسمالي، لم تستنفد مقوماتها المنهجية ورؤاها بعد، وهو مشروع للتطبيق الكوني ما زال يداعب مخيلة ملايين البشر في أرجاء المعمورة، ويحفز على التفكير والعمل من منظور ما نطلق عليه تسمية؛ الماركسية، في سبيل تفسير العالم وتغييره في الآن معاً.

بعد وفاة ماركس عمل كثر من المفكرين على تخصيب النظرية الماركسية بمعطيات مناهج وأفكار نمت ونضجت في حقول معرفية مختلفة. وبذلك لم يبق الفكر الماركسي جزءاً من تاريخ الفكر فقط، وإنما ظلّ فاعلاً في المجال المعرفي لاحقاً، ومؤثراً بقوة في الحدث التاريخي، ولابد من أن نتائج التلقيح والتخصيب والتفاعلات ستنتهي إلى غير ما انتهى إليه ماركس بشأن قضايا ومعضلات شتى، بعضها لم يكن معروفا في عهد ماركس، أو لم يكن معروفاً بهذه الحدّة.

والآن، بعد هذا الذي حصل كله، ما الذي تبقى من ماركس، والماركسية؟ وماذا عمّا بعد ماركس، وما بعد الماركسية؟ وهل الـ (ما بعد) ضرورة يقتضيها منطق التطور التاريخي؟ هل الـ (ما بعد) شيء محتم؟ وأن يكون هناك تأسيس لـ (ما بعد) لنظرية ما، ألا يثبت، من جهة ثانية، حيوية تلك النظرية، واستمرار قدرتها على التأثير والإلهام؟

لنفرّق أولاً، بين مقولتي (ماركس والماركسية).. بين ماركس الرجل المفكر والمناضل السياسي الاشتراكي المولود في عام ١٨١٨ والمتوفى في عام ١٨٨٣، وما أورثه إيانا من أفكار ونظريات ومفاهيم وتعليقات وتعقيبات وهوامش في مؤلفاته ورسائله، فضلاً عن منهج دراساته العلمي الجدلي والذي به أنشأ ما سميت بالمدرسة الماركسية والحركة الماركسية، وبين الماركسية التي هي شيء آخر أوسع وأعقد وأشد التباساً، فالماركسية استندت إلى المبادئ النظرية التي أرساها ماركس والمنهج الذي اختطه، لكنها ضمّت، فضلاً عن أفكار ماركس وفردريك أنجلس، في ما بعد، أفكار أعداد لا تحصى من المفكرين ممن تبنوا أفكار ماركس وأوسعوه شرحاً وتفسيراً وتأويلاً، وبعضهم تقويماً ونقداً وإعادة صياغة، حتى ما عادت هناك ماركسية واحدة، بل ماركسيات متناقضة، وأحياناً متناحرة.

ماذا يعني أن تسبق كلمة الـ (ما بعد) اصطلاحا/ مفهوما مشاعا، غنيا وإشكاليا مثل (الماركسية) وتندمج به؟ عمّ نكون نتحدث إذ ذاك؟ وهل نقصد الشيء عينه حين نجترح اصطلاح/ مفهوم (ما بعد ماركس)؟. هل القول بـ (ما بعد ماركس) يعادل القول بـ (ما بعد الماركسية)؟ أم أننا نشير، ها هنا، إلى مسألتين، أو واقعتين نظريتين مختلفتين؟ هل نقصد، وببساطة، بـ (ما بعد ماركس) الأشخاص المفكرين الذين ألهمهم ماركس، والذين جاءوا بعده، وبـ (ما بعد الماركسية) الحركات والتيارات الفكرية التي ظهرت بعد ظهور الماركسية؟ هل يعادل القول بما بعد الماركسية، بالمقارنة مع الماركسية من حيث صيغة المفهوم ونطاقه وبنيته القول بما بعد الحداثة بالمقارنة مع الحداثة، إذ أن ما بعد الحداثة جاءت لتفند وتسفّه المنطلقات والمبادئ التي قامت عليها الحداثة؟

وفي حين، نحن نعلم أن الأفق النظري ونطاق اشتغال ما بعد الماركسية بالقياس إلى الماركسية يختلف تماماً عن الأفق النظري ونطاق اشتغال نظريات ما بعد الحداثة بالقياس إلى الحداثة. فهل أن اصطلاحات الـ (ما بعد) تشير إلى مناهج وحقول دراسات ومقاصد تتباين بحسب السياق المستخدمة فيه؟

يقول الدكتور فالح عبد الجبار في مقدمة كتاب (ما بعد الماركسية) الذي أعد فصوله المكتوبة من قبل باحثين متعددين ومنها فصل كتبه هو بعنوان (ماركس والدولة: النظرية الناقصة)؛ "هذا الكتاب محاولة متعددة الاجتهادات، ولعل عنوان الكتاب نفسه يعبّر عن هذا التعدد بما يكتنفه من لبس، فكلمة (ما بعد) قد تُفسّر بمعنى التجاوز أو معنى النسخ أو معنى السؤال.. هل نغالي إذا قلنا إن ثمة حاجة محسوسة إلى كل ذلك؟".

يومئ اقتران الـ(ما بعد) بمفهوم معين، أحياناً، إلى إعادة تحديد مساحة اشتغال المفهوم ذاك، ونطاق تأثيره.. يستحيل المفهوم جهازاً جرى تكييفه ليغدو مفتاحاً أو آلة لاستكشاف نظري، أو معياراً للتقويم والاستشراف، ولا شك في أن إتقان كيفية تفعيل عمل المفهوم نظرياً لبناء تصور عن واقع قائم، وفي طور التحوّل، يعد شرطاً محايثاً في الجدل الدائر حول الـ (ما بعد/ الحداثة، الكولونيالية، البنيوية، الماركسية، الخ)، مع تباين ماهية وطبيعة ومجال استخدام وحدود كل مفهوم من هذه المفاهيم. فهل الـ (ما بعد) كناية عن قطيعة معرفية مثل تلك التي تحدث عنها جاستون باشلار، ومن ثم ميشيل فوكو، أم استمرار للأصل بطرق أخرى؛ أي ضرورة للاستمرار؟

يضعنا هذا، في البدء، أمام واقع اصطلاحي جديد، مغاير للاصطلاح السابق؛ (الماركسية)، وقبل ذلك للاسم العلم؛ (ماركس)، لنجد أنفسنا، حينئذ، مقودين لمواجهة جملة شائكة من التساؤلات والأفكار.

هل يصح أن نطلق على شخص ما تسمية؛ (ما بعد ماركسي) وأن ننعت حركة فكرية، أو سياسية ما، بأنها (ما بعد ماركسية)؟ وعلى وفق أية معايير؟.. هل يمثل الاصطلاحان/ المفهومان (ما بعد ماركس وما بعد الماركسية) ظاهرة فكرية علينا القيام بتوصيفها؟ هل نتحدث عن تيار فكري بعينه، واضح الرؤى والأهداف ومتماسك، أم عن تيارات شتى، ربما تكون متناقضة في توجهاتها؟ وحين نقول ما بعد ماركس فهل نروم نقد ماركس وتقويمه، أم نرمي إلى أن نكون ضده؟.. هل ما بعد الماركسي هو الماركسي الذي هجر الماركسية وبات يؤمن بفكر آخر يناقضها؟

في المقابل، أنتقصد بمفكري (ما بعد ماركس) أولئك الذين اصطفوا في خانة (ماركس)، شارحين نظريته ومؤوليها مع الالتفات إلى ما طرأ على الفكر الإنساني من تطور، وعلى التاريخ والواقع الإنسانيين من تحولات عميقة، حاسمة؟ أهم مطورو تلك النظرية؟ أهم منتقدوه من الموالين أم هم منتقدوه من الخصوم؟ أو إنهم من عالجوا القضايا ذاتها من منظور مختلف؟ أهم من قاربوا الموضوعات التي تناولها ماركس، وهذه المرة من منظور جديد.. بقوا مخلصين، في سبيل المثال، للتحليل الطبقي، ولكنهم أخذوا بنظر الاعتبار الخريطة الجديدة للمواقع الطبقية والصراعات والتحالفات الطبقية تبعا للشروط المستجدة للواقع ليعيدوا معها صياغة النظرية، مكيّفة مع التطور التاريخي؟

هل الماركسيون الذين جاءوا بعد ماركس، ومنهم الماركسيون المعاصرون هم جميعاً ما بعد ماركسيين؟ أم هم فقط أولئك الذين حاولوا ملائمة النظرية الماركسية مع واقع اقتصادي/ اجتماعي/ سياسي أكثر تعقيداً من ذاك الذي خبره ماركس، وصاغ نظريته ومنهجه في ضوء معطياته؟ هل بالإمكان القول أن الـ (ما بعد ماركسيين) هم الورثة الشرعيون المخلصون لماركس، أم هم ورثته، بوجه عام، العاقون منهم والأوفياء؟. وأيضاً؛ من زاوية أخرى، هل نقصد بما بعد الماركسية تلك النظريات التي استعارت الماركسية وطورتها لكنها مكثت في ضمن فضائها أم هي النظريات التي جاءت بعدها وانتقدتها وصاغت لنفسها جهازها المفاهيمي الخاص ومنهجها التحليلي الخاص وبنيتها النظرية الخاصة؟

هل يزيح الاصطلاح الثاني المتضمن الـ(ما بعد) الاصطلاح الأول وهو، في هذا المقام (الماركسية)؟ وأرى أنه في الحالات كلها، يجب أن يتعرض الاصطلاح الثاني للاصطلاح الأول.. ويبقى السؤال عن شكل هذا التعرّض وآليات اشتغاله ومقصده. فيبرز عدد من الاحتمالات:

- أن يقوم الاصطلاح الجديد بنسف الاصطلاح السابق وإقامة بنيانه النظري على أنقاض ذلك الاصطلاح المدمَّر.

. أن يستوعب الاصطلاح الثاني الاصطلاح السابق ويرممه، أي يصلحه ويطوّره.

. أن يضعه على محور مغاير، في مواجهة إشكاليات جديدة وأسئلة جديدة.

وإذن، هل ينشق الاصطلاح الثاني من الحقل المنهجي والنظري ذاته للاصطلاح الأول، أم يأتي من خارجه.. من منهج مغاير وأرضية فكرية مختلفة؟ أو بعبارة ثانية؛ إلى أي مدى ينطوي مفهوم الـ(ما بعد) على بُعد الانزياح بتوسيعه لمجال الإشكالية المعنية أو نقل الإشكالية إلى منطقة أخرى أو النظر إليها من منظور آخر. أو إعطاء الأولوية لإشكالية غير تلك؟، من ثم، ألا يُفترض بنا، حين نكون في منطقة الانزياح، إرساء تقاليد وقواعد نقدية أخرى؟

بعد ذلك، ومرة أخرى، هل كلمة الـ(ما بعد) يعزز ما يُكمل أم ما يُدحض؟

إن القول بالـ (ما بعد) هو في حقيقة الأمر شروع بعملية نقد، أو وعد بها على الأقل. فليس التعقيب الزمني هو ما يعنينا وحسب. ليس ما بعد ماركس بهذا المعنى هو القيام بجرد لأفكار من جاؤوا بعده، بعد رحيله عن هذا العالم. وليست ما بعد الماركسية هي الحركات الفكرية التالية لانبثاق الماركسية، فالمسألة تتخطى هذا، فثمة فرق نوعي بين مفهوم (الماركسية بعد ماركس) وهو عنوان كتاب لبيير سويري، وبين مفهوم (ما بعد الماركسية)، فاللوحة ما بعد الماركسية ذات أبعاد ثلاثة، بُعدها العميق هو البعد النقدي؛ نقد فكر ماركس نفسه، ونقد الماركسية، لا بمعنى هدمهما وإنما تحفيز الفكر الماركسي على الحياة والاستمرار، وربما بدت اللوحة للوهلة الأولى غير منسجمة متناقضة، وتبعث على الدوار، غير أن الأمر يبرهن على قدرة ذلك الفكر على الحياة والتجدد والتنوع.

إن ما يعدنا به ملحق الـ (ما بعد) هو التنكيل بالدوغمائية.. إن ما هو صائب اليوم، قد لا يكون كذلك غداً.. وما كان غائباً بالأمس، لا يعني أننا لن نلقاه في يومنا هذا أو في غدنا.. نكون إذاك إزاء إجابات مختلفة على الأسئلة القديمة، وإزاء أسئلة جديدة تتطلب إجابات غير مسبوقة، وفي ما يتعلق بالماركسية وما بعدها يبقى في القلب من تلك الأسئلة السؤال الطبقي، الذي يتفرع منه أسئلة لا تعد ولا تحصى.. أسئلة من قبيل؛ هل ما تزال البروليتاريا الطبقة الأكثر ثورية بامتياز؟ هل ما تزال طبقة عابرة للحدود القومية كما كان ماركس يعتقد؟ هل يمكن توسيع نطاق البروليتاريا ليضم فئات أخرى تنتج اليوم في عصر المعلوماتية وتساهم في خلق القيمة، أولئك الذين نطلق عليهم تسمية (عمال المعرفة)؟ هؤلاء الذين لا يمتلكون سوى قوة عملهم (الفكري) ويخلقون فائض القيمة الذي يستولي عليه الرأسمالي، أم إن عمال المعرفة هم، ببساطة، في ضمن الطبقة الوسطى؟ وقد نألف أنفسنا، عندئذ، في مواجهة ضرورة إعادة تعريف مفهوم الطبقة.

في الـ(ما بعد) نعيد تأويل النظرية.. نقبلها بهذه النسبة أو تلك، وقد نرفضها.. هذا كلام عام، لكن في ما يخص موضوعتنا عن الماركسية وما بعدها، فإن ما يجعلنا مشوشين ويصيبنا بالدوار هو هذا الكم الهائل من التراث النظري المكتوب مستلهماً ماركس أو ناقداً له وللماركسية، فضلاً عن تلك التجارب الاشتراكية كلها التي خيضت خلال المئة السنة الأخيرة، ناهيك عن تجارب الأحزاب الماركسية في المعارضة (في المدة ذاتها) في كل مكان من أقطار المعمورة، ولابد من أن أية محاولة لقراءة هذا التراث وهذا التاريخ هي أمر غاية في الصعوبة والتعقيد، أعتقد أن الأسس النظرية لـ (ما بعد الماركسية) تقوم على:

١. نقد الفكر الماركسي، بتراكماته النظرية، بما في ذلك أفكار ماركس نفسه.. النقد بمعنى التقويم وإعادة الصياغة، وإخضاع مجمل الأطروحات الماركسية للأسئلة المستلة من راهننا، من أجل معرفة ماذا تبقى من ماركس، والماركسية؟ ولا شك في أن ما تبقى منهما ليس بالشيء اليسير.

٢. نقد الرأسمالية بتجلياتها وظواهرها وتاريخها وآلياتها وسياساتها وأزماتها، وأيضاً بنظرياتها ومناهجها وإعلامها وثقافتها، وبطبيعة الحال سيحضر، ها هنا، ماركس ومنهجه وأفكاره ورؤاه بقوة.

٣. الإفادة من المناهج الحديثة في حقول العلوم الإنسانية، وتمثلها ونقدها، وإخصاب النظرية الماركسية بها.

٤. النظر الماركسي العلمي التحليلي إلى جملة التحديات الجديدة؛ العولمة وتطور التقنية.. مشكلات البيئة الحيوية.. تغيرات الخريطة الطبقية للمجتمعات.. مشكلات الهجرة.. الديكتاتوريات والحروب بالإنابة.. العنصرية والتهميش والاحتلالات وعودة الكولونيالية بذرائع مبتكرة.. مشكلات الفقر والجوع والجريمة المنظمة والمخدرات والرقيق الأبيض.. تجدد قدرة الرأسمالية على حل أزماتها.. الخ.

٥. الإجابة على أسئلة مثل؛ ماذا حصل في العالم بعد ماركس؟ ماذا حصل في بنى ومسارات الظواهر التي عالجها؟ هل سار الواقع بحسب تنبؤاته أم خالفها، كيف ولماذا؟ ثم، هل الـ (ما بعد الماركسية) تعالج (الظواهر/ الإشكاليات) ذاتها بمقاربات مختلفة، أم تأخذ بالمقاربات ذاتها لمعالجة ظواهر جديدة أم أن المقاربات والمعالجات والظواهر، تكون مختلفة عن تلك التي تناولها ماركس؟ وأخيراً ما الذي يتبقى من ماركس في (ما بعد ماركس) و(ما بعد الماركسية)؟ أهو المنهج (المادية التاريخية) أم الإشكاليات الأهم التي تعاطى معها؛ التفسير المادي للتاريخ المتمثل بأولوية العامل الاقتصادي في عملية التفسير تلك، وبالصراع الطبقي محرّكاً أساسياً للتاريخ، أم الروح النقدية التي طبعت كتاباته بموضوعها الرئيس (النظام الاقتصادي-الاجتماعي الرأسمالي)؟

تكون ما بعد الماركسية مفعمة برؤى ماركس وجدله.. بتلك الملكة النقدية السجالية العالية.. بالمضي بعملية التحليل والتركيب إلى أقصاه.. بتعميق البحث وتوسيع حدوده، وأبداً من منظور تاريخي جدلي يأخذ بنظر الاعتبار مجموعة أقانيم مفاهيمية، ويتحرى عن التناقضات الاجتماعية. الاقتصادية وما يرتبط بها من صراع طبقي، وتطور اجتماعي، وتقدم للقوى المنتجة وعلاقات الإنتاج.

نخلص إلى القول أن ما بعد ماركس وما بعد الماركسية اصطلاحان متداخلان يحملان طاقة منهجية . نقدية، ويصدران من أفق نظرية ماركس والتراث الماركسي.. يبغيان إعادة تقويم النظرية وإنعاشها مجدداً، في عصر متنوع الوجوه، ومضطرب تسيطر عليه وتدير دفته قوة رأس المال ومؤسساته الجبارة. وذلك كله من أجل طرح بدائل واقعية ممكنة ومقنعة للعولمة بصيغتها الرأسمالية الحالية، وللنظريات التي تسعى لتأبيد الوضع العالمي القائم في خريطته الجيوسياسية وأنماط علاقاته التي جوهرها الهيمنة والاستغلال والتحكم (عن قرب وعن بعد) بالآخرين وإشعال الحروب.. تلك النظريات التي تقول بصراع الثقافات والحضارات، أو بنهاية التاريخ.

والآن، هل نستطيع اقتراح نموذج واحد (ما بعد ماركسي) منهجاً وتصورات ورؤى؟ أعتقد أن الإجابة هي؛ لا قال(ما بعد) ماركسية ليست مدرسة قائمة بحد ذاتها، متسقة الأفكار والمنهج، وإنما مجموعة من الاتجاهات والآراء والمناهج المتخالفة والمتضاربة أحياناً، والتي تتفق في أشياء وتختلف في أخرى. أي أن ما يمكن إنشاؤه هو؛ نماذج ماركسية مستفيدة من الفتوحات النظرية والمنهجية العلمية لحقول المعرفة الإنسانية كافة تعمل على تنقية الماركسية أولاً من عوالقها الإيديولوجية الدوغمائية، والطوباوية التي أثبت الواقع لا واقعيتها ولا معقوليتها، وإعادة صياغة النظرية والمنهج الماركسيين، المرة بعد المرة، تبعاً لتغيرات المحيط الاجتماعي والاقتصادي في العالم، والتطورات الحاصلة في مناهج العلوم الإنسانية.

ومن غير الإخلال بجوهر الماركسية المتمثل بنقد المرحلة الرأسمالية، وطابعها الاستغلالي القهري والاستلابي، والنضال من أجل تغيير العالم لمصلحة الإنسان العامل، وتحقيق أعلى قدر ممكن من العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

إن موضوعة (ما بعد الماركسية) تبقي النقاش مفتوحاً بصدد نقد النظام الرأسمالي العالمي وتمظهراته كافة، والتشكيك (القائم على أسس منهجية علمية) بقدرته، حتى النهاية، على حل أزماته، إلى جانب اجتراح صيغ وأطر وآليات جديدة فعالة لنظام اجتماعي سياسي عادل (اشتراكي) بديل لا يغتال الديمقراطية، ولا ينكّل بالإنسان وحقوقه، ولا يُصادر الحريات المدنية.. ينمّي الاقتصاد ويحقق الوفرة ويضمن حقوق الأجيال الآتية في موارد الأرض والفضاء.. يحل السلم العالمي وتعايش الثقافات والحضارات، ويحترم التنوع والاختلاف أو، بعبارة مختصرة، يحسّن شروط الحياة البشرية.. ذلك حلم صعب، لكنه ليس بمستحيل.